

أحجام وأوهام

بقلم الياس بجاني

مسؤول الإعلام في المنسقية العامة للمؤسسات اللبنانية الكندية

في خضم الحملة الإعلامية والنفسية المنظمة من قبل أعداء لبنان لإظهار شعبنا بمظهر القتلة وتجار المخدرات والإرهابيين، في زمن باع فيه الكثير ضمائرهم وإيمانهم بثلاثين من الفضة، في زمن توهم البعض أن بمقدوره التدخل في أدق خصوصيات شعائرنا الدينية وفرض ما يجب أن يقوم به رجال ديننا من واجبات حتى تلك المتعلقة بالصلاة على موتانا، في زمن ارتبك فيه إدراك البعض لأحجامهم وقدراتهم فراحوا يصنفون ويدينون طبقاً لمعاييرهم البالية، في زمن أغبر نصب فيه السعادين والقردة والمعاقين حكماً وألبس قطاعو الطرق عباءة الزعامة وأقيم العهار حماة للعبة والفضيلة، في زمن قل فيه الإيمان ورخصت القيم فأصبح التعامل مع المحتل شطارة والتخلي عن الجذور والتاريخ والهوية بطولة، في زمن ألبس فيه المجرم والمتعامل والخائن زوراً ثوب التوبة الكاذبة وقدم للناس بصورة العفيف للانتفاص من دماء شهدائنا وتضحياتهم، في زمن يحاول فيه بعض رجال الدين المسيحيين في بلاد الاغتراب قيادة رعياهم نحو الكارثة عبر محاولات تدجينهم وتعليمهم تاريخ وجغرافية المحتل وفصلهم عن مرجعيتهم الأم والهيمنة على كنائسهم وزرع الشقاق بين تجمعاتهم ليسهل أمر مصادرة قرارهم والهيمنة على ممتلكاتهم، في وقت تنكر فيه البعض لتضحيات الآلاف من شهدائنا الأبرار الذين قدموا أنفسهم قربان على مذبح لبنان لنعيش أحراراً ومرفوعي الرأس، في هذا الزمن الذي ينطبق عليه مثلنا المعروف: "بِزمن المحل بتتظ العنزة على الفحل"، ورغم كل المآسي ورغم وجودنا في قعر الهاوية، نقول لأهلنا: لا تيأسوا فلا يأس مع الإيمان ولا إحباط مع الرجاء، أنتم أبناء لبنان العظيم، قوم شيمته العناد والإيمان والعنفوان. وفيما يعلن بعض الخونة والمارقين واللصوص توبتهم الكاذبة بهدف تشويه الحقائق والنيل من عناد أهلنا وتعلقهم بهويتهم وتاريخهم وفرداتهم، نجدد نحن أبناء لبنان الأبرار فعل إيماننا بوطن الأرز وبترابه المقدس:

نحن أبناء وطن الأرز مقيمين ومغتربين نجدد إيماننا بوطن ال ١٠٤٥٢ كلم مربعا ووطننا حرا مستقلا تعمه الديمقراطية ويسوده العدل والقانون، محررا بالكامل من تسلط وهيمنة الغرباء والخونة، وطننا مميزا وفريدا بشخصيته المستقلة وخصائصه الإنسانية والحضارية التعايشية يدين له بالولاء المطلق كل مواطنيه دون لبس أو غموض وتحافظ فيه طوائفه الثمانية عشرة على

أصولها الإثنية والعرقية، وعلى حضاراتها وثقافتها ومعتقداتها الدينية بحرية كاملة دون إكراه أو اضطهاد أو تكتيل أو تسلط. كما نجدد رفضنا للاحتلال ولكل إفرازاته من حكام صوريين، ومجالس معينة لا تمثل الشعب، واتفاقات خيانية تمس السيادة والاستقلال وحرية القرار الوطني، ونرفض كل المحاولات الجبابة الجارية لتغيير معالم وجه لبنان الثقافي والحضاري وطمس تراثه وتاريخه وشخصيته وإلباسه عباءة ليست له ولا على قياسه وشده الى عصور التخلف والجاهلية والتعصب. إن لبنان بحاجة الى حكام مؤمنون بعمق تراثه وبخصائص كيانه وبقدسية تراثه وبفردته يؤمنون بإمكانيات وقدرات شعبه، يحسون بأحاسيسه يفرحون لفرحه ويتألمون لآلامه.

نجدد فعل إيماننا بخيار التعايش بين كافة الشرائح اللبنانية في زمن بلغت فيه محاولات عمليات الفرز السياسي والوجداني والسكاني والجغرافي حدها الأقصى، نجدد إيماننا بالتعايش رغم أن شعبنا لم يحصد منه حتى الآن سوى الاجتياح والهدم والحرق والتهجير وقر بطن الحوامل وقطع الرؤوس والتشريد والتدنيس ونش القبور، نختار التعايش ونقفز فوق كل هذه الفواجع لإيماننا المطلق بأن لا حل جذرياً سواه ينهي المعانات اللبنانية ويحبط مخططات قوى الاحتلال ودماها. إن لبنان ورغم كل شيء يبقى وطناً حضارياً عقلانياً، وطن الجماعات المؤمنة بالديانات السماوية، وطناً فريداً متعاوناً ومنفتحاً على محيطه، ولكن دون طمس لشخصيته أو تهيمش لتاريخه وتاريخ الشعوب التي يتكون منها. هكذا كان، وهكذا يجب أن يبقى، ملجأ لكل مضطهد وطالب للحرية. نجدد إيماننا بلبنان مجتمع الدين والقداسة لأنهما ثروة روحية وبشرية هائلة لا تنضب، والمجتمع اللبناني هو صاحب رسالة حضارية، بنجاحه تتأكد قدرة انسانيه الفائقة على تخطي مساحات التخلف التي يحاول الغزاة عزله فيها والإطباق عليه بهمجيتهم لتفكيك مجتمعه والقضاء على مميزاته. المطلوب من شعبنا أن نثبت للعالم كله أن التعايش بين جماعات من أديان وطوائف ومذاهب وإثنيات وحضارات متعددة على قواعد عقلانية هو أمر ممكن وهو سعي إنساني _ حضاري كبير يبين دون أي لبس أن الوطن اللبناني ليس مجموعات بشرية تنفق على سبيل الصدفة وتختلف على سبيل الصدفة، بل ثمة مصير واحد ينظمها في إطار واحد من التواصل والتنامي اللامتناهي، والتعايش هو سر من أسرار النقائنها. نجدد إيماننا بالخطاب التعايشي الذي هو حصيلة وعي تاريخي لحقيقة لبنان المجتمعية، فلبنان مجتمع تركيبية تآلفي، والتوازن السياسي - الاجتماعي فيه ضرورة من ضرورات استمراره تعاقدياً تعادلياً لا غلبة فيه لجماعة على جماعة وتلك هي رسالة لبنان الفريدة كونه وطناً فريداً هكذا كان وهكذا سيبقى حتى يوم القيامة.